

سورة الحديد (الآيتان: 27-28)

أهداف الدرس

- 1- أن أتعرف جزاء الإيمان بالله ورسوله وآثاره على الإنسان .
- 2- أن أدرك فضل المؤمنين وجزاءهم عند الله .
- 3- أن أقوي إيماني بأن الفضل كله لله يوتيهِ من يشاء من عباده .

تمهيد

بعد أن ذكر سبحانه أن من آمن من أهل الكتاب إيماناً صحيحاً، لهم أجرهم عند ربهم، بين هنا أن من آمن منهم بعيسى ثم بمحمد ﷺ، يؤتيهم الله أجرهم مرتين لإيمانهم بنبيهم، ثم بمحمد ﷺ من بعده، ثم ذكر أن ذلك كله فضل من الله، وفضل الله يوتيهِ من يشاء من خلقه.

فما جزاء من آمن بمحمد ﷺ بعد إيمانه بالأنبياء قبله؟ وما أساس هذا الجزاء؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَعَامِنُوا رَسُولَهُ، يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَيَجْعَلَ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿27﴾ لَيْلًا يَعْلَمُ أَقْلُ الْكِتَابِ الْأَيْغُذِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مَرَّقِضِ اللَّهِ وَأَنَّ الْبَقْضَ يَبْدِ اللَّهُ يُوْتِيهِ مَنَ شَاءَ وَاللَّهُ غُ وَالْبَقْضُ الْعَظِيمُ ﴿28﴾

[سورة الحديد: 28-29]

الفهم

الشرح:

كَبَلْتُمْ : نصيبين .

اتَّقُوا اللَّهَ : خافوا عقاب الله .

وَعَامِنُوا بِرَسُولِهِ : صدقوا بمحمد ﷺ واتبعوه .

يُؤْتِكُمْ : يعطكم .

استخلاص مضامين الآيتين :

1- بم وعد الله المؤمنين بمحمد ﷺ في الآيتين؟

2- لماذا ضاعف الله أجور المؤمنين في الآيات؟

التفسير

اشتملت الآيتان على ما يأتي:

أولاً: وعد الله تعالى المؤمنين بالمغفرة ومضاعفة الأجور:

في هاتين الآيتين يبين الحق سبحانه أن من آمنوا بعيسى ثم بمحمد ﷺ بعده، يؤتيهم الله أجرهم مرتين، حيث يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَعَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كَبَلْتُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ إن قيل: كيف خاطب الذين آمنوا وأمرهم بالإيمان، وتحصيل الحاصل لا ينبغي؟

فالجواب من وجهين: أحدهما: أن معنى ﴿ءَامِنُوا﴾ دوما على الإيمان و اثبتوا عليه .
 وثانيهما: أنه خطاب لأهل الكتاب فالمعنى: يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى ، آمنوا
 بمحمد ﷺ ، ويؤيد هذا قوله: ﴿يُوتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ أي: نصيبين ، وقال رسول
 الله ﷺ: «ثَلَاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ (....) وَمُؤْمِنُ أَهْلِ الْكِتَابِ ، الَّذِي كَانَ مُؤْمِنًا ،
 ثُمَّ آمَنَ بِالنَّبِيِّ ﷺ» . [صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم من أهل الكتابين] ﴿وَيَجْعَلُ
 لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ يحتمل أن يريد النور الذي يسعى بين أيدي المؤمنين يوم القيامة ،
 أو يكون عبارة عن الهدى . ويؤيد الأول أنه مذكور في هذه السورة ، ويؤيد الثاني قوله
 تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ [الأنعام: 123] ﴿وَيَغْفِرَ لَكُمْ﴾ أي: ويغفر لكم
 ما اقترفتهم من المعاصي والآثام ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ مبالغة في المغفرة والرحمة، أي:
 عظيم المغفرة واسع الرحمة. فقد وعد الله عز وجل هؤلاء المؤمنين بأمر ثلاثة: أن
 يضاعف لهم الأجر ، وأن يجعل لهم نورا يمشون به ، وأن يغفر لهم ذنوبهم .

ثانيا: مضاعفة أجور المؤمنين فضلا من الله:

يلعل الحق سبحانه ما خص به هؤلاء المؤمنين من أجر ونور ومغفرة فيقول سبحانه:
 ﴿لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَفْخِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّنْ فَضَّلَ اللَّهُ﴾ يرى جمهور المفسرين
 أن ﴿لَيْلًا﴾ في قوله تعالى: ﴿لَيْلًا﴾ صلة ، والمعنى: ليعلم أهل الكتاب وكذلك قرأها ابن
 عباس ، وقرأ ابن مسعود «لكيلا يعلم» .

والمعنى: إن كان الخطاب لأهل الكتاب: يا أهل الكتاب آمنوا بمحمد ﷺ ، ليعلم أهل
 الكتاب الذين لم يؤمنوا: أن لا يقدرُوا على شيء من فضل الله الذي وعد من آمن منكم ،
 وهو تضعيف الأجر والنور والمغفرة؛ لأنهم لم يسلموا ، فلم ينالوا شيئا من ذلك .

وإن كان الخطاب للمسلمين ، فالمعنى: ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا أنهم لا يقدرّون أن ينالوا شيئاً مما أعطى الله المسلمين ، من تضعيف الأجر والنور والمغفرة ، وقد روي في سبب نزول الآية: أن اليهود افتخرت على المسلمين ، فنزلت الآية في الرد عليهم ، وهو يقوي هذا القول ، وروي أيضاً أن سببها أن الذين أسلموا من أهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المسلمين بأنهم يؤتيهم الله أجرهم مرتين فنزلت الآية معلّمة أن المسلمين مثلهم في ذلك .

وقد ختم الله عز وجل السورة بقوله: ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَوَّالٌ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ والمعنى: لا تكثرثوا بعدم علم أهل الكتاب بأنهم لا يقدرّون على شيء من فضل الله ، وبأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ، أي: لا تكثرثوا بجهلهم المركب في استمرارهم على الاغترار بأن لهم منزلة عند الله تعالى ، فإن الله عالم بذلك وهو خلقهم . وهذا مثل قوله تعالى: ﴿مَتَمَّ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة: 6] وجملة ﴿وَاللَّهُ غَوَّالٌ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ تذييل يعم الفضل الذي آتاه الله أهل الكتاب المؤمنين بمحمد ﷺ وغيره من الفضل . [التحرير والتنوير ، للطاهر بن عاشور: 433/27] .

ثالثاً: مقاصد الآيتين :

ترشد الآيتان إلى مجموعة من المقاصد التربوية ، منها:

- التأكيد على وحدة الرسالات السماوية في مصدرها وأصولها؛ وأن جميعها يدعو

إلى الإيمان .

- فضل من آمن بالرسالات السابقة ثم آمن بمحمد ﷺ .

- ميزة المؤمنين من هذه الأمة أنهم يؤمنون بكل الرسالات السابقة.
- تفضيل بعض الناس على بعض هو فضل من الله، وفضل الله يوتيهِ من يشاء.

التقويم

- 1- أوضح المقصود بالنداء في بداية الآيتين .
- 2- ما هو سبب مضاعفة الأجر للمؤمنين المقصودين في الآيتين؟
- 3- ما معنى قوله تعالى: ﴿لِيَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ؟﴾

الاستثمار

قال ابن عجيبة رحمه الله: «تَسَحَّبُ هَذِهِ الْآيَةُ مِنْ طَرِيقِ الْإِشَارَةِ عَلَى مَنْ كَانَتْ فِي أَسْلَافِهِ خُصُوصِيَّةٌ وَلَايَةٌ أَوْ صَلاَحٌ، أَوْ شَرَفٌ عِلْمٍ أَوْ رِئَاسَةٌ مَّا، ثُمَّ ظَهَرَتْ التَّرْبِيَّةُ الْحَقِيقِيَّةُ فِي غَيْرِ أَسْلَافِهِ، فَإِنْ حَطَّ رَأْسُهُ وَصَدَّقَ بِالْخُصُوصِيَّةِ لِعَیْرِهِ أُعْطِيَ أَجْرَهُ مَرَّتَيْنِ، وَعَظُمَ قَدْرُهُ فِي مَقَامِ الْوَلَايَةِ، وَإِنَّمَا كَانَتْ تَنْتَقِلُ دَوْلَةُ الْوَلَايَةِ؛ لِيَعْلَمَ أَهْلُ الْخُصُوصِيَّةِ الْمَتَقَدِّمَةِ أَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ، يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» [البحر المديد، لابن عجيبة، 7/332].

أوضح المعنى العام للنص مع تحديد علاقته بالآيتين موضوع الدرس .

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: 1-4 من سورة المجادلة وأجيب عن الآتي:

1- أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: سَمِعَ - فُجِّلَ لِمَا زُوِّجْنَا - مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ - وَزُورًا - يَتَمَاسًا.

2- أبحث في أحكام الظهار وكفارته.